وصف الراوي بالزعارة
مفهومه ودلالته على الجرح والتعديل

"Describing a Narrator as 'Za'ārah':
Its Meaning and Its Implication in Jarḥ and Taʿdīl

الباحثتان

عفاف بنت مستور العتيبي

طالبة في مرحلة الماجستير.

Afaf Mastour Al- Otaibi

Master's student

د. حنان بنت عبد الله الزبيري

أستاذ السنة وعلومها المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية - جامعة الملك سعود.

Dr. Hanan Abdullah Al- Zubairi

,Assistant professor of Hadith and its Sciences

,Department of Islamic studies

,College of Education, King saud University

kingdom of Saudi Arabia

halzubiry@ksu.edu.sa

الملخص

يهدف البحث إلى دراسة مصطلح (الزعارة) في الجرح والتعديل، حيث وصف به سبعةً وعشرين راوياً وقد قام الباحث بتتبع هذا المصطلح في كتب اللغة، والسير والتراجم، من حيث تعريفه، وأقوال العلماء فيه، وجمع أسماء الرواة الذين وصفوا به، وكان من أبرز النتائج: أن هذا الوصف يطلقه المحدثون على من كان في طبعه شراسة أو سوء خلق، أو حدّة، وقد لا يراد به جرح الراوي أو تضعيفه، وهذا الوصف وإن كان غير محمود في باب نقد الرواة إلا أنه ليس مما يقدح في العدالة أو يخدش في الرواية، كما أفاد نقاد الحديث.

الكلمات المفتاحية : زعارة، وصف، الجرح، ألفاظ التعديل، شراسة، خلق.

Summary:

This research aims to examine the term "al-Zaʿārah" as used in the science of al-Jarḥ wa al-Taʿdīl (criticism and validation of narrators). This term was used to describe twenty-seven narrators. The researcher investigated its usage in linguistic sources, biographical works, and books of narrator evaluation—focusing on its definition, scholars' opinions, and compiling the names of those who were described with it.

One of the key findings is that this term was applied by hadith scholars to individuals characterized by harshness, bad conduct, or a sharp temperament. However, it was not always intended as a form of criticism or a declaration of weakness. While the term is generally unfavorable in the context of narrator evaluation, it does not necessarily undermine a narrator's integrity (ʿad*ā*lah) or impair the acceptance of their narration, as affirmed by hadith critics.

Keywords: Insolence, Descriptive Terms, Jarh (Discrediting), Ta'dil (Praise Terms), Harshness, Ethical Conduct.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين الذي حفظ الوحي قرآناً وسنة فله وحده الفضل والمنّة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أرسله ربه عزو جل رحمة لهذه الأمة والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فسار على الهدي النبوي بكل ما أوتي من همة. أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله -عز وجل- على عباده أن حفظ لهم دينهم، فحفظ سبحانه كتابه العزيز من أي تحريف أو تأويل أو تغيير وحفظ سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيسر لها رجالاً حفظوا متونها وضبطوا أسانيدها وعرفوا أحوال نقلتها، وفتشوا عن رجالها ورحلوا في طلب الرواية ومعرفة أحوال الرواة، حتى باتت السنة بفضل الله نقية.

وكان من عظيم وجليل حرص هؤلاء الأئمة على السنة أن اعتنوا بأحوال الرجال؛ لأنهم حملة الأخبار، وكتّاب الصحف والأسفار فنقدوا الرواة وصنفوهم مراتب في الجرح والتعديل، وبيّنوا المقبول من المردود، واضعين بذلك منهجاً قويماً لتمييز رجال الإسناد، وتمحيص نقلة الأخبار.

وقد وضعوا مصطلحات دقيقة للحكم على الرواة، وبعض هذه المصطلحات يحتاج إلى تحرير، وتتبع لفهم مرادهم منه كمصطلح (الزّعارة) الذي ورد في كتب التراجم لكنه لم يحظ بدراسة مستقلة تبرز معناه اللغوي، والاصطلاحي عند النقاد، وهل هو مؤثر في الحكم على الراوي أم لا؟

لذا هذا البحث يتناول تعريف هذا المصطلح، عند النقاد، مفهومه، ودلالته، واستعمال المحدثين له وجمع أسماء الرواة، ثم خلاصة الأثر المترتب على ذلك.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث بتسليط الضوء على مصطلح –الزعارة- وتحرير عبارات الأئمة حوله، وبيان دلالته على الجرح والتعديل، ومعرفة أثره على الراوي من حيث القبول والرد.

أسباب اختيار البحث:

١.الإسهام في خدمة السنة النبوية.
٢. عدم وجود دراسة مستقله حول مصطلح الزعارة يوضح معناه، ودلالته، وأثره في نقد الرواة.

٣. ورد هذا اللفظ عن عدد من علماء الجرح والتعديل.

أهداف البحث:

١ – بيان المعنى اللغوي لمصطلح (الزعارة)، وعلاقته باستعمال المحدثين.
٢ - جمع رواة الحديث الموصفين بالزعارة، وما ذكر في حالهم جرحاً وتعديلاً.
٣ - معرفة الأثر المترتب على وصف الراوي به.

أسئلة البحث:

١ - ما هو معنى الزعارة لغةً، وماهي دلالتها في كتب الجرح والتعديل؟
٢ - كم عدد الرواة الموصوفون بهذا المصطلح؟ وهل يعدّ ذلك جرحاً؟
٣ - ما هو أثر هذا الوصف على الراوي، وهل هو مؤثر على قبول حديثه؟

حدود البحث:

كتب الجرح والتعديل، التاريخ، التراجم والرجال.

الدراسات السابقة:

لم أقف بعد البحث والتتبع على دراسة علمية مستقلة تناولت مصطلح الزعارة.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع وتتبع الرواة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف من كتب الرجال، ثم ترجمت لهم بترجمة مختصرة، وذكرت أحوالهم جرحاً وتعديلاً، ثم الوقوف على بعض أقوال النقاد في الراوي، وتتبع هذا الوصف وهل يؤثر في عدالة الراوي أو روايته، وتتضح إجراءات البحث في الآتي:

١ – استقراء ما ورد حول هذا المصطلح في كتب اللغة، والمعاجم، وكتب الرجال.
٢ - جمع الرواة الذين وصفوا بـ «الزعارة « من كتب علوم الحديث، الجرح والتعديل، الطبقات، التواريخ والتراجم، والسير.
٣- تحليل عبارات الأئمة في سياق وصفهم للراوي بالزعارة.

٤- ذكر أقوال النقاد في الراوي جرحاً وتعديلاً، إن وجد.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، ثم تمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي.

المقدمة: واشتملت على: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطة البحث.

التمهيد ويتضمن: التعريف بعلم الجرح والتعديل، وأهميته.

أولاً: تعريف علم الجرح والتعديل.

ثانياً: أهمية علم الجرح والتعديل.

المبحث الأول: معرفة آداب المحدث.

المبحث الثاني: التعريف بمصطلح الزعارة ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ «الزعارة».

المطلب الثاني: علاقة المعنى اللغوي والاصطلاحي باستعمال المحدثين.

المطلب الثالث: الموصوفون بالزعارة.

المطلب الرابع: أثر وصف «الزعارة» في الحكم على الراوي.

الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

هذا وأسال الله التوفيق والسداد، والحمدالله أولاً وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

تمهيد في التعريف بـ : علم الجرح والتعديل، وأهميته

أولا : التعريف بـ : الجرح والتعديل :

الجرح : لغةً : التأثير في البدن بشقٍّ أو قطع، واستعير في المعنويات بمعنى التأثير في الدِّين أو الخُلُق بأوصاف يناقضهما.

والجرح في اصطلاح المحدثين: وصفُ متى التحق بالراوي أو الشاهد، سقط الاعتبار بقوله، وبطل العمل به.

التعديل : لغة: التقويم والتسوية، وتقويم الشيء موازنته بغيره.

اصطلاحًا: وصْف الراوي بما يقتضي قَبول روايته.

وأما علم الجرح والتعديل فهو: علم يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول مروياتهم أو ردها، وقد عرّفه القنوّجي بأنه: علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم، بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ، والألفاظ المخصوصة هي: ألفاظ التعديل وألفاظ التجريح، وهي كثيرة، فمثال ألفاظ التعديل: ثقة، ثَبْتٌ، صدوق، ومثال ألفاظ التجريح: ضعيف، متروك، كذاب، وألفاظ التعديل منها ما يدل على المرتبة العليا في التثبت والضبط، ومنها ما يدل على المرتبة الدنيا، وبينهما مراتب متفاوتة. وكذلك ألفاظ التجريح، منها ما يدل على أسوأ التجريح، ومنها ما يدل على أدناه، وبينهما مراتب متفاوتة أيضاً.

وأول من ذكر هذه المراتب أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) في مقدمة كتابه (الجرح والتعديل، وأما غرض هذا العلم فهو: الذب عن الشريعة وصونها وحمايتها ممن يطعن فيها.

والقائمون بهذا الواجب هم علماء الحديث العارفون بأسبابها، ممن لديهم خبرة كامله بالحديث وعلله ورجاله. (١)

ثانياً: أهمية علم الجرح والتعديل :

علم الجرح والتعديل هو «واحدٌ من تلك العلوم التي تفردت به الأمة الإسلامية وتميزت على غيرها من الأمم، فكان المحدثون أولوه بعنايتهم الخاصة، فوضعوا له الأسس المتينة، والقواعد

(١) عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية ، الرفاعي ، (٣١/١).

الثابتة، ورفعوا بنيانه عالياً، وتفننوا في تشييده وتهذيبه حتى ظهر هذا العلم في أجمل صورة، وأمتن هيئة، وعليه قام عماد السنة، إذ به يتميز الصحيح من السقيم، وبه ينكشف حال الضعفاء والكذابين من الرواة».(١)

وهذا العلم هو من فروع علم رجال الحديث وهو علمٌ عظيم لأنه ميزان رجال الحديث ومعيار الحكم عليهم وهو الحارس للسنة من كل زيفٍ ودخيل.

ثم إن الكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله -ﷺ- ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وإنما جوّز الجرح والتعديل صيانةً للشريعة لا للطعن في الناس، وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى من التثبت في الحقوق والأموال. فلهذا افترضوا على أنفسهم الكلام.

قال العلاّمة المعلمي اليماني -رحمه الله تعالى- لبحثث - وصف ديل والمحدثين.: «ليس نقد الرواة بالأمر الهيّن؛ فإن الناقد لا بدّ أن يكون واسع الاطلاع على الأخبار المروية، عارفاً بأحوال السابقين وطرق الرواية، خبيراً بعوائد الرواة ومقاصدهم وأغراضهم، وبالأسباب الداعية إلى التساهل والكذب، والموقعة في الخطأ، ثم يحتاج إلى أن يعرف أحوال الراوي متى وُلِد؟ وبأيِّ بلد؟ وكيف هو في الدين والأمانة، والعقل والمروءة؟ ومع من سمِع؟ وكيف كتابه؟ ثم يعرف أحوال الشيوخ الذين يحدث عنهم، وبلدانهم، ووفياتهم، وأوقات تحديثهم، وعادتهم في التحديث، ثم يعرف مرويات الناس عنهم، ويعرض عليها مرويات الراوي، ويعتبر بها إلى غير ذلك مما يطول شرحه».(٢)

وخلاصة الكلام في حكم جرح الرواة: أنه ضرورة اقتضتها واستلزمتها المحافظة على السنة، وأن ذلك الأمر ينبغي أن يُتوخّى فيه الحيطة والحذر، والفطنة واليقظة والتقوى والورع، حتى يعتدل ميزان جرحه فلا يُفرِط ولا يُفرّط. (٣)

---

(١) الميسر في علم الجرح والتعديل، لسيد عبد الماجد الغوري ص ٧.

(٢) عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية ، الرفاعي ، (٣١/١).

(٣) للاستزادة حول حكم الجرح ينظر: بحث في مجلة كلية الدراسات والعربية بالإسكندرية، العدد الثاني والثلاثون بحث بعنوان: (الأسباب المانعة من قبول الطعن في الراوي) محمد كامل محمد حسن ص٢٥٠.

المبحث الأول
معرفة آداب المحدث

الأدب هو: ترويض النفس على محاسن الأخلاق وفضائل الأقوال والأفعال التي استحسنها الشرع، وأيدها العقل وهي استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً. (١)

وقد تأصلت الآداب في علم الحديث النبوي منذ بداياته، حين أذن النبي -ﷺ- لأصحابه في الرواية عنه، مقروناً ذلك بضوابط تتعلق بمضمون الحديث وآداب نقله، إذ كان المحدّث وطالب الحديث أقرب الناس إلى هدي النبي ﷺوأخلاقه، فقد كان لزاماً أن يكونوا أسبق الناس إلى التخلق بأحسن الأخلاق والأقوال وفي هذا المعنى قول النبي -ﷺ- (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق).(٢)

فمن الآداب التي ينبغي أن يراعيها العالم في نفسه: معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقةِ الوجه، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، واحتماله منهم والإيثار، وترك الاستئثار، والإنصاف، وشكر التفضل، وإيجاد الراحة، والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه في الشفاعات، والرفق بالطلبة، وإعانتهم وبرهم.(٣)

كما أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهمية هذا الجانب الأخلاقي في الأثر المشهور عنه حين قال: (تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقُم علمكم مع جهلكم).(٤) ، وروي عن الحسن البصري أنه قال: (كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده ((٥)

فبهذه التوجيهات النبوية يتبين أن من صفات المحدث وآدابه التواضع والحلم وحسن الخلق، فلا ينبغي للمحدث أن يكون فضاً ولا غليظاً، بل يقتدي بنبيه ﷺفي تعليمه.

---

(١) الأدب المفرد للبخاري (٢٢٢٧/٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٠٢٨/١٨٩٧/٢) والحاكم في مستدركه (٦١٣/٢) والبيهقي في سننه الكبير (٢٠٩٣٩/١٩١/١٠) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بمثله، وقال الحاكم: (صحيح على شرط مسلم و لم يخرجه).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لبدر الدين بن جماعة (ص٢٣).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (٦٣٠/٩٩).

(٥) شعب الإيمان (١٨٠٨/٢٩١/٢).

فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنه: (علّموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت، وإذا غضب أحدكم فليسكت، وإذا غضب أحدكم فليسكت).(١)

ففيه توجيه نبوي لكل من تصدى للتعليم أن يكون سمحاً ليناً فالتيسير وحسن الخلق وضبط النفس من سمات المعلم المبلّغ.

ومع ما عرف عن السلف من العناية الفائقة بأخلاق المحدثين فإنهم لم يشترطوا الكمال المطلق بل عدّو كثيراً من الأخلاق من باب الفضل لا من باب القبول، فقد قال الإمام الذهبي في ترجمة أحد الرواة: (وله حظٌ من زعارة ونفور لكنه متثبت متقن)(٢)

ومما يجب أن يُعنى به طالب الحديث: الرفق بمعلمه وحسن الأدب معه وعدم إملاله بكثرة السؤال أو سوء التصرف فإن ذلك من تمام الخلق الحسن، ومن أعظم أسباب بركة العلم واستمرار الاستفادة وقد نبه السلف على هذا المعنى بدقة، قال الإمام ابن جريج رحمه الله: (لم أخرج الذي قد استخرجت من عطاء إلا برفقي به).(٣)

وعلى المتعلم أن يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الامكان، ولا يقول له لم؟ ولا نسلم، ولا من نقل هذا؟ وأين موضعه؟ وشبه ذلك، فإن أراد استفادته تلطف في الوصول إلى ذلك».(٤)

وعليه فإن آداب المحدث تعدّمن كمال هذا العلم الشريف لكنها ليست هي المعيار الوحيد لقبول الرواية وقد يجتمع في الراوي التام الضبط العدل شيءٌ من الغِلظة في الخُلق والزعارة فلا يُسِقط هذا من عدالته ولا من ضبطه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٦٨/٥٣١/٢) والطيالسي في مسنده (٣٣٧/٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وقال الهيثمي: (رجاله ثقات).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٦٢٥/٤٢٣/١).

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم و المتعلم (ص١٠١).

المبحث الثاني
التعريف بمصطلح الزعارة

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ «الزعارة»:

تطلق الزعارة في اللغة على عدة معاني وهي:

(زعَر) الزاء والعين والراء أصلٌ يدل على سوء خلقٍ وقلة خير، وهو على وزن فعالة[١]، وجاء في تهذيب اللغة: قد زعَر رأسه يزعر زعراً، قال أبو عبيد: في خُلُقه زعارّة بتشديد الراء أي: شراسة وسوء خلق، وتأتي بتخفيف الراء، وتشديدها، وربما قالوا: هو زعِر الخُلُق، والتخفيف لغة ثعلب، عن ابن الأعرابي: الزَّعَر: قلة الشَّعر، ومنه قيل للأحداث: زعران. [٢]

والزعرور: السيئ الخلق، والعامة تقول: رجل زَعِر، وفيه زعَارة، والزعرور أيضاً: ثمرة معروفة، الواحدة منها: زعرورة، تكون حمراء، وربما كانت صفراء، قال ابن دريد: لا تعرفه العرب، وزعور: اسم.

والزعارَّة: شراسة في خلق الرجل، لا يكاد ينقاد، ولا يلين، ولا يعرف منه فعل، يقال: في خُلُقه زعارّة.[٣]

وأما المعنى الاصطلاحي:

لم أجد في كتب الحديث تعريفِ معاصر يجليّ لنا المعنى الاصطلاحي للزعارة، لكنها عندهم تعبر عن: وصفٍ خُلُقي يظهر من المحدث، يُظهر فيه الغلظة والشدة، وكذلك قد تكون شراسة في القول أو الفعل، ويراد بها كذلك الخروج عن الأدب المألوف من أهل العلم والصلاح.

ومن مظاهرها:

١. الغلظة والفظاظة.

٢. التعامل مع الآخرين بشراسة.

٣. سرعة الغضب.

٤. المبالغة في اللوم والتوبيخ.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (١٢/٣).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٨٠/٢).

(٣) كتاب العين للخليل الفراهيدي (٣٥٢/١)

٥. تكليح الوجه.

ويعبر عن الزعارة بمرادفات أخرى متعددة كأن يقال في المحدث: كان وعِراً، عسِر الأخلاق، نكِد الأخلاق، صعب الأخلاق، زَعِر الأخلاق، فيه زعارة، في خلقه زعارة، له حظٌ من زعارة، وكان نكِداً، وكلها تدور حول هذا المعنى الذي هو: الشراسة وسوء الخُلُق.

المطلب الثاني: علاقة المعنى اللغوي والاصطلاحي باستعمال المحدثين:

استعمل علماء الجرح والتعديل -كما سيأتي- مصطلح الزعارة لا بقصد الطعن في عدالة الرواة، وإنما للدلالة على ما عُرف عنهم من سلوكيات وحكايات، لا تليق بمن ينتظر منه التحلي بحسن الخلق والرفق، لاسيما إذا كان من أهل العلم، أو من رواة الحديث، ومما سبق يتبين أن الاشتقاق اللغوي يدور حول معاني البعد عن الخير، والشراسة، والجفاء وسوء الخلق وعدم اللين.

وهي علاقة تغاير واختلاف في المعنى الأول فمع أن الزعارة قد تستعمل في اللغة بمعنى قلة الخير إلا أن هذا المعنى بعيدُ عن أوصاف أهل الحديث المعروفين بالصدق والعدالة.

قال الشيخ المعلمي اليماني -رحمه الله تعالى- في كتابه «التنكيل» في معرض كلامه عن أيوب بن إسحاق السافري: «وكان في خُلقه زعارة، وسأله أبو حميد في شيء يكتبه عنه فمطله ومعروف في اللغة ومتكرر في التراجم أن يقال: في خلق فلان زعارة أي شراسة، وهذا وإن كان غير محمود فليس مما يقدح في العدالة أو يخدِش في الرواية». (١)

وسوء الخلق قد لا يأتي وحده، بل يصاحبه أحياناً صفات أخرى مذمومة، كسوء العشرة، وحدّة الطبع، والطيش وقلة الإنصاف، والكبر والمماطلة، وعسر الرواية، ونفورٍ عن الناس، كما قال ياقوت الحمويّ عن علي بن محمد بن يوسف الأندلسي: (وكان في خُلقه زعارة وسوء عشرة) (٢)، فاستخدم -رحمه الله- الزعارة هنا للدلالة على سوء خلقه ومعاملته للناس.

وقد تجتمع الزعارة في الشيخ والتلميذ كما حكاه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، في ترجمة أبي ذر الهروي: "قال الحافظ أبو علي الغساني: أخبرنا أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد الباجي، أخبرنا أبي أن الفقيه أبا عمران الفاسي مضى إلى مكة، وقد كان، قرأ على أبي ذر شيئاً، فوافق أبا ذر في السراة موضع سكناه، فقال لخازن كتبه: أخرج إلي من كتب الشيخ ما أنسخه ما دام غائباً، فإذا حضر، قرأته عليه، فقال الخازن: لا أجترئ على هذا، ولكن هذه المفاتيح إن شئت

(١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٣٧/١).

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (١٩٦٩/٥).

أنت، فخذ وافعل ذلك فأخذها، وأخرج ما أراد، فسمع أبو ذر بالسراة بذلك، فركب، وطرق مكة، وأخذ كتبه، وأقسم أن لا يحدثه، فلقد أُخبرت أن أبا عمران كان بعد إذا حدث عن أبي ذر، يوري عن اسمه، فيقول: أخبرنا أبو عيسى، وبذلك كانت العرب تكنيه باسم ولده.

قال الإمام الذهبي معلقاً على ذلك: قلت: قد مات أبو عمران الفاسي قبل أبي ذر، وكان قد لقي القاضي ابن الباقلاني والكبار، وما لانزعاج أبي ذر وجه، والحكاية دالة على زعارة الشيخ والتلميذ رحمهما الله». (١)

المطلب الثالث: الموصوفون بالزعارة. (٢)

- أحمد بن إبراهيم بن عبد الضيف بن مصعب الصدر نور الدين أبو العباس الخزرجي الدمشقي، المتوفى (٦٩٦هـ).

قرأ القرآن على السخاوي من مشايخه: علم الدين السخاوي، والثقفي وروى الحديث عن التقي اليلداني، ومن تلامذته الإمام الذهبي وغيره، وصفه بهذا الإمام الذهبي بالزعارة حيث قال: (كان رئيساً محتشماً فيه زعارة وقوة نفس، أفادني مسألة في النحو).(٣)

- أحمد بن علي بن عمرو بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن عنبر، أبو الفضل السليماني، البِيْكَنْدي، شيخ ما وراء النهر المتوفى سنة (٤٠٤هـ).

رحل الآفاق، لم يكن له نظير في عصره بـ بخارى حفظاً وإتقاناً وعلو إسناد، وكثرة تصانيف، سمع محمد بن يعقوب الأصم، ومحمد بن صابر كاتب البخاري، وصالح بن زهير، له التصانيف الكبار، وكان يصنف في كل جمعة شيئاً (٤)، وصفه الإمام الذهبي بالغلظة والزعارة معاً حيث ذكره في رسالته «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» وقال: (صاحب التصانيف، فيه زعارة وغلظة سامحه الله).(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٧/١).

(٢) يلحظ الناظر في كتب التراجم والسير وصفاً لعض المحدثين بما يرادف الزعارة ،كالعسارة في الخُلُق، والنكادة، فيقال: كان عسراً ، أو كان نَكِد الأخلاق، وهذه الصفتين لم يشملها هذا المبحث بالجمع والتتبع، وإن كنا سنشير إلى ذكرها.

(٣) تاريخ الإسلام (٨٣٣/١٥).

(٤) تاريخ الاسلام (٧١/٩).

(٥) الروض الباسم في تراجم شيوخ ، للمنصوري (٢٤٨/١).

- أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن الحسن بن مفرج ابن بكار بن النابلسي، شهاب الدين أبو العباس المتوفى سنة (٧٥٨هـ).

سمع من زينب بمن مكي، وتقي الدين الواسطي، وخلق كثير واكب على الطلب زماناً قال الإمام الذهبي وقد ترافقنا مدةً، وكتب وخرج، وقد وصفه -رحمه الله تعالى- بالزعارة والنفور عن أهل الحديث فقال: (له حظ من زعارة ونفور من الناس والله يسامحه فعليه مأخذ لذلك، لكنه متثبت متقن) [١]، وقال في موضعٍ آخر:(وفي خلقه زعارة وفي طباعه نفور عن المحدثين وغيرهم).[٢]

رحم الله الإمام الذهبي كيف يضرب لنا في كتابه القيّم أروع الأمثلة في حسن خلقه، وإنصافه -رحمه الله تعالى- حين ساق ما وصف به كلٌ من السليماني، والنابلسي بنكادة الخُلق والنفور عن المحدثين إلا أنه ختم هاتين الترجمتين بالدعاء لهما.

- أيوب بن إسحاق بن إبراهيم بن سافري أبو سليمان السافري البغدادي الرملي المتوفى سنة (٢٥٩هـ).

حدث عن محمد بن عبد الله الأنصاري، وموسى بن داود الضبي، وعبد الله بن رجاء، كان إخبارياً، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: ذكرته لأبي فعرفه، وكان صدوقاً، [٣] وقد وصفه ابن يونس في تاريخه بالزعارة والمطل فقال: (كانت في خلقه زعارة، وسأله أبو حميد في شيء، يكتبه عنه من الأخبار، فمطله، وكان شاعراً). [٤]

- الحسن بن علي بن محمد بن عدنان بن شجاع الشيخ الإمام بدر الدين الحرّاني المعروف بابن المحدث المجوّد الكاتب المتوفى سنة (٥٧٣٤).

كان أديباً فاضلاً في فنه عجيباً، ينظم وينثر، كتب عليه من أهل دمشق جماعة كثيرون، وصف خلقه صلاح الدين الصفدي فقال: (كان ذا خلق فيه زعارة وبادرة ليس وراءها حقد، فهي في السرّ معارة فنفرت عنه بعض النفوس، ولو خلا منها وضِع على الرؤوس).[٥]

---

(١) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١٩٧/٤).

(٢) سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٢٣/١)، الرد الوافر، لمحمد الدمشقي ابن ناصر الدين (٨٠/١).

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٤١/٢).

(٤) تاريخ ابن يونس المصري ، لابن يونس الصدفي (٤١/٢).

(٥) أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي (٢١٤/٢).

- داود بن مهران بن زياد، أبو هاشم الرَبعي -نسبة إلى ربيعة بن نزار- قال ابن الجوزي عنه: (كان عالماً ديّناً في خلقه زعارة لا يحدث). (١)

- سعيد بن فحلون أبو عثمان الأندلسي-محدث الأندلس- راوي كتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب المتوفى سنة (٣٤٦هـ).

سمع من ابن فحلون بقرطبة، وبقي المخلد ومحمد ابن وضّاح، وحجّ فأخذ عن النسائي، روى عنه جماعة منهم يحيى ابن عبد الله بن عيسى الليثي، وصفه في السير بقوله: (كان صدوقاً زَعرَ الخُلُق) وقال عنه في التاريخ: (كان صدوقًا في أخلاقه زعارة).(٢)

- عبد الرحمن بن أبي البركات بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كندر المعروف بابن المشتري المتوفى بإربل سنة (٦١٩هـ)

سمع من عبد الأول صحيح البخاري والدارمي، وحدث عن الأرموي، وسعيد بن أحمد بن البناء، حدث ببغداد، ولم يكن مشهوراً بالفقه ولا مذكوراً بين أهله، وصفه ابن نقطة الحنبلي بالعسارة في الخلق حيث قال: (وكان صعب الأخلاق عَسِراً)(٣)، ذكر جماعة أنه من ولد عبد الرحمن بن مُلجِم ووصفه ابن المستوفي بقوله: (رَبْعَة في أخلاقة زعارّة، شافعي المذهب).(٤)

- عبد الرحمن بن عبد الحليم بن عمران، صدر الدين، أبو القاسم الأوسيّ الدُّكالي المالكي، ويلقب بسحنون المتوفى سنة (٦٩٥هـ).

قرأ القراءات على الصفراوي، وسمع منه ومن عبد الوهاب بن رواج، وسمع الحديث على الشيوخ، وسمع منه الإمام الذهبي، والمزي، وابن سيد الناس وطائفة، وقد وصفه الذهبي فقال: (كان إماماً عارفاً بالمذهب مفتياً متفنناً، جمّ الفضائل قوي العربية، زَعِر الأخلاق).(٥)

- عبد الساتر بن عبد الحميد بن محمد بن أبي بكر بن ماضي المقدسي الفقيه تقي الدين الحنبلي، المتوفى سنة (٦٧٩هـ).

سمع من الشيخ الموفق، والقزويني، وابن راجح وطائفة، علق الإمام الذهبي قلة السماع عنه بسبب ما فيه من الزعارة مع قلة العلم وكثرة الدعاوى فقال: (قلّ من سمع عنه لأنه كان فيه زعارة،

(١) المنتظم في تاريخ الملوك، لابن الجوزي (٨٤/٩).
(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٥٦/١٢)، تاريخ الإسلام، للذهبي (٨٣٣/٧).
(٣) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة الحنبلي (٣٤٤/١).
(٤) تاريخ إربل، لابن المستوفى (٢٣٩/١).
(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي (٣٦٠/٥٢)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص٣٧٢.

وكان فيه غلوّ في السنة ومنابذة للمتكلمين، ومبالغة في اتباع النصوص وهو كان حنبلياً خشناً متحرّقاً على الأشعري، كثير الدعاوى قليل العلم).[١]

- عبد الله بن إبراهيم الأصيلي شيخ المالكية عالم الأندلس المتوفى سنة (٣٩٢هـ).

نشأ بأصيلا من بلاد العدوة، تفقه بالأندلس وبالقيروان، سمع ابن السليم القاضي، ووهب بن مسرة، وابن حيوية، وصنف كتاب الآثار، والدلائل في الخلاف، قال الدارقطني: حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله، وصفه القاضي عياض فقال: (كان نظير ابن أبي زيد بالقيروان، وعلى طريقته وهديه وفيه زعارة حمل الناس عنه).[٢]

- عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيرو المحدث المفتي شيخ الإسلام زين الدين الفارقي، خطيب دمشق ومفتيها، أبو محمد الشافعي المتوفى سنة (٣٠٧هـ).

سمع من كريمة القرشية، وابن الصلاح، والسخاوي، وابن خليل، وطبقتهم، ثم إنه تحول إلى مصر، وقرأ على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره، وروى الكثير، وأبان عن فضل غزير، وفاز بذكر شهير، اجتمعت فيه مع الزعارة جلادة على المخاصمة وتسرعٍ في الإفتاء كما وصفه الصفدي بقوله: (كانت فيه زعارة وحدّه وهيبة عظيمة وشدة، وكانت فيه قوة للحق، وجلادة على مخاصمة الخلق، وتسرع في الإفتاء، وقع معه في هوة الإثم إلى الحق أراق دماء كثيره، وقطع أطرافاً أمورها في ذلك الزمان شهيرة).[٣]

- عثمان بن عاصم بن حصين ويقال عثمان بن عاصم بن زيد بن كثير بن زيد بن مرة أبو الحَصِين الأسدي الكوفي، المتوفى سنة (١٢٧هـ).

روى عن أبي وائل، وسويد بن غفلة، وسعيد بن جبير، وعنه الثوري وشعبة، من رجال الصحيحين، وأحد الأشراف متفقٌ على توثيقه، أخرج له الجماعة، وذكر أبو داود بسنده إلى علي بن المديني أنه قال: ليس في أصحاب الشعبي أعلى من أبي حصين، وكان شعبة يقول: حدثنا أبو حصين (وكان في خلقه زعارة). [٤]

وقد ورد أن الإمام شعبة بن الحجاج رحمه الله لا يتجرأ على رد الخطأ في مجلس عثمان بن عاصم، وكان يقول: لو قلت هذا لأبي حصين للطم عيني، قال ابن عساكر في تاريخه معلقاً:

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (المقدمة/١٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٦٠/١٦).

(٣) أعيان النصر وأعوان النصر، للصفدي (٧٣٣/٢).

(٤) تهذيب الكمال، للمزي (٤٠٢/١٩).

وكان في خلق أبي حصين زعارّة مشددة الراء.[١]

- علي بن إبراهيم بن داود ابن العطار الدمشقي علاء الدين أبو الحسن ابن العطار.

حفظ القرآن وسمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، والمجد محمد بن إسماعيل ابن عساكر وسمع بمكة من يوسف بن إسحاق الطبري، وأبي اليمن بن عساكر، وبالقاهرة ابن دقيق العيد، وعمل له الذهبي معجماً بلغ أشياخه فيه مئتين وسبع وعشرين شيخاً، قال في ترجمته صلاح الدين الصفدي: (كان فيه زهد، وورع بلغ الجهد، وتعبد وأمر بالمعروف على زعارة أخلاقه، ومرارة في مذاقه، وكان قد صحب الإمام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى).[٢]

- علي بن أحمد بن سليمان بن ربيعة بن الصيقل أبو الحسن المعدل المصري علان.

سمع محمد بن رمح، وعمرو بن سواد، وسلمة بن شبيب وخلقاً، وعنه أبو سعيد بن يونس، وأبو بكر بن المقرئ وطائفة سواهم، قال ابن يونس واصفاً لحاله: (كان ثقةً كثير الحديث، أحد كبراء عدُول البلد، وفى خُلُقه زعارة).[٣]

- علي بن عبد الجبار بن محمد بن علي، أبو الحسن القيروانيّ، الكاتب المعروف بابن الزيات المتوفى سنة (٦٢٣هـ)

نشأ بتونس وتأدب بها، عفيفًا مصونًا؛ له عناية بإنشاء الرسائل، وقرض الشعر، ويحفظ من الأشعار جملة وافرة، ومن أقاويل الأندلسيين؛ وله فصول من إنشائه ومكاتبات مليحة، ونظم حسن وبلاغة، وسمع كثيرًا من الحديث قال عنه الموصلي: (وكان في أخلاقه زعارة، حادّ المزاج، يتعصب لأهل الغرب تعصبًا مفرطًا، صحبته بالموصل مدةً وكتبت عنه شيئاً من شعره وشعر غيره).[٤]

- علي بن محمد بن يوسف بن محمد نظام الدين أبو الحسن بن خَرُوف الأندلسي الأشبيلي المتوفى سنة (٦٠٩هـ).

كان فاضلاً في علم العربية، محققاً، مدققاً ماهراً، مشاركاً في علم الأصول، أخذ بقرطبة من مشيخة بلده، شارح سيبويه، مشهور في بلاده، مذكور بالعلم والفهم، روى عن مشيخة بلده، ثم رحل وحج وكتب هنالك الحديث، قال في ترجمته أبو عبد الله ياقوت الحمويّ: (كان في خلقه

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٤١٢/٣٨).
(٢) أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي (٢٤٧/٣).
(٣) تاريخ ابن يونس المصري، لابن يونس الصدفي (١٥٦/١).
(٤) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، لابن الشعار الموصلي (٦٣/٤).

زعارة وسوء عشرة).[١]

- على بن مسعود بن نفيس بن عبد الله الموصلي الحنبلي أبو الحسن الحلبي المتوفى سنة (٧٠٤هـ).

المحدث الصالح الفقيه، سمع من أبي القاسم بن رواحة، ومن إبراهيم بن خليل، وسمع بمصر من أصحاب البوصيري، وعني بالحديث ودرب قراءته، وكانت مفسرة نافعة، قال الإمام الذهبي عنه وهو ممن لازمه -رحمه الله- واصفاً حاله: سمعت منه جملة، وكان يجوع ويشتري الأجزاء ويتعفف ويقنع بكسرةٍ، فيسوء خلقه مع التقوى والصلاح، [٢]وقال الشهير بابن القاضي: (ما تنقم عليه إلا زعارة في أخلاقه).[٣]

- عمر بن عبد الرحمن بن يونس الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية زين الدين أبو حفص الدمشقي المعروف بابن الكتاني المتوفى سنة (٧٣٨هـ).

قال في ترجمته صلاح الدين الصفدي: (وكان في خلقه زعارة وشراسة، وحدة لا ينكس الكبر لها رأسه، لا يخضع لقاضٍ، ولا لأمير، ولا ينفعل لإبرام ولا لانتقاض، وله في ذلك حكايات مشهورة).[٤]

ووصفه الإمام بالذهبي بالزعارة وقلة الإنصاف، قال رحمه الله: (كان تام الشكل حسن الهيئة، جيد الذهن كثير العلم عارفاً بالمذهب مائلاً إلى الحجة خطب ودرس، واشتهر اسمه وذكر للقضاء، لكن كان في خلقه زعارة وعنده قوة نفس وقلة إنصاف، وما علمته تأهل، وكان يوهي بعض المسائل لضعف دليلها). [٥]

- عمرو بن زُرارة بن واقد الكِلابيّ المحدث الإمام الثبت أبو محمد النيسابوري المقرئ المتوفى سنة (٢٣٨هـ).

قرأ القرآن على حمزة الكسائي، وحدث عنه هشيم، وسفيان بن عيينة، وابن عليه، وطبقتهم، وحدث عن البخاري، ومسلم والنسائي، ووثقه الإمام النسائي، قال أبو العباس السراج: (كان فيه

(١) معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي (١٩٩٦/٥).
(٢) المعجم المختص، للذهبي (١٧٦/١).
(٣) ذيل وفيات الأعيان لابن القاضي (١٢٤٦/٢٣١/٣).
(٤) أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي (٦٠٢/٣).
(٥) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني (١٩٢/٤).

زعارة).[١]

- محمد بن علي بن محرز أبو عبد الله الكوفي ثم البغدادي ثم المصري الفسطاطي، كان صديقاً لأحمد بن حنبل وجاره فيما ذُكر.

روى عن بن إبراهيم بن سعد، والحسين المروذي، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: كتب أبي بمصر وسألته عنه فقال: كان ثقة، [٢]، قال فيه ابن يونس: (كان فهماً بالحديث، وكان في أخلاقه زعارة، حدّث بمصر عن أهل الكوفة، وأهل بغداد، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: مستقيم الأمر في الحديث، وقال ابن الجوزي: كان محدثاً ثقة فهِماً، وفي أخلاقه زعارة).[٣]

- محمد بن علي بن مخلوف بن ناهض قاضي القضاة محيي الدين ابن قاضي القضاة زين الدين المالكي المتوفى سنة (٧١١هـ).

وصفه الصفدي بالزعارة وانحراف المزاج حيث قال: (كان مشكور السيرة عاقلاً ديناً كثير السكون، يفضله الناس على والده إلا أنه كان منحرف المزاج، في أخلاقه زعارة، وعنده طيش، فكان ذلك سبب تأخيره وعدم تقدمه). [٤]

اجتمع في القاضي انحراف المزاج، وطيش وسوء الخلق مما كان سبباً له في تأخرّه وعدم تقدمه.

- محمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدّائم بن نعمة المقدسيّ الصّالحي الحنبلي المحدّث المتوفى سنة (٧٧٤هـ).

سمع على محمد بن احمد بن الزراد صحيح أبي حاتم بن حبان ومن ابن سعد، طلب بنفسه ونسخ وحصل وله اعتناء بالمسائل وبعض الأسماء، (وفي خلقه زعارة، ثم تَرك).[٥]

- محمد بن محمد بن أحمد بن السلال الكرخي الورّاق، الحبّار المتوفى سنة (٥٤١هـ).

سمع أبا جعفر بن المسلمة، والكازروني، وأبي علي بن وشاح، وتفرد بالرواية عن هؤلاء الثلاثة، وطال عمره وتفرد، روى عنه السمعاني، وابن الجوزي، نقل الإمام الذهبي عن ابن السّمعاني وصفه

(١) سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٤٠٧/١١).
(٢) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٢٧/٨).
(٣) تاريخ ابن يونس المصري ، لابن يونس الصدفي (٢١٩/٢).
(٤) المرجع السابق (٦٦٣/٤).
(٥) المعجم المختص بالمحدثين ، للذهبي ص ٢٥٥.

لخلقه فقال: (كان في خلقه زعارة، وكنا نسمع عليه بجهد وهو متهمٌ معروفٌ بالتشيع)،[١]اجتمع فيه كما ترى مع نكادة الخُلق، عسر في الرواية، والاتهام بالبدعة.

- محمد بن نصر الله بن عبد المنعم بن عبد الباقي بن بَصَاقة المعمّر الكاتب مُعين الدين ابن فخر القضاة، المتوفى سنة (٧٠٩هـ)

قال الذهبي في معجمه جالسته فقال لي: ولدت سنة تسعٍ وست مائة وكان الكِبرُ والكِبَر عليه لائحاً تقلّب في الخِدَم المباحة المذمومة، وفيه زعارة وقوة نفْس).[٢]

- محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك ابن أبي اليسرى عبد العزيز بن عبد الله بن مهران، بن عدي، بن بكر بن وائل، من أهل قرطبة. يكنّى أبا عبد الله، المتوفى (٥٢٧١).

روى بالأندلس عن: عيسى بن دينار، وأصبغ بن الفرج، وسحنون القيرواني، كانت الفتوى في الأندلس دائرة عليه، قال القاضي عياض: (كان يحلّق بالجامع، ويفتي، ويقرأ عليه العلم، وكانت في ابن مطروح دعابة معروفة، وفي خلقه زعارة).[٣]

- نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو الفتح بن أبي الكرم الوزير المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة (٦٣٧هـ).

صاحب مصنف «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، قال في ترجمته الموصلي: (كنت أُعاين من زعارة أخلاقه ونزاقته، وضيق عطنه ما يبغض به نفسه إلى كل من يسمع به، فكيف من يراه ويحادثه!).[٤]

على أنه قد يوصف المحدث بالزعارة، ويعبر عنها: بنِكادة الخلق، وعسارة الطبع كما وصف الإمام ابن حبان الحافظ عبدان بن أحمد الأهوازي أحد الحفاظ الأثبات بالعسارة فقال: (كان عسِراً نِكداً)، ووصف الإمام الذهبي أحمد بن عبد الله بن شانج، أبو جعفر القرطبي المطرز، المتوفى سنة (٥١٤هـ) بنِكادة الخلق حيث ذكر عنه: (كتب بخطه علماً كثيراً، ولم يكن بالضابط لما كتبه مع معرفته، وكان عسر الأخذ، نكد الأخلاق) [٥]، وكذلك محمد بن الحسن أبو المعالي

(١) سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٧٦/٢٠).
(٢) معجم الشيوخ الكبير، للذهبي (٢٩٣/٢).
(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، للقاضي عياض (٢٤٩/٤).
(٤) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ، لابن الشعار الموصلي (٣٩/٧).
(٥) تاريخ الإسلام، للذهبي. (٢١٤/١١).

العجلي، الدّقّاق المتوفى سنة (٥٣٩هـ)، قيل فيه: (كان عسِر الخُلُق). [١]

وذكر السمعاني عن أبو محمد البسطامي، النيسابوري، المعروف بالسيدي: (عالم خير، كثير العبادة والتهجد، ولكنه كان عسِر الخلق، بسر الوجه، لا يشتهي الرواية، ولا يحب أصحاب الحديث، كنا نقرأ عليه بجهد جهيد، وبالشفاعات)[٢]، وكذلك وُصف مؤمل بن إهاب الرملي، حين قال سبط ابن الجوزي عنه: (كان عسِر الخُلُق يكره أصحاب الحديث، وكان وعراً ممتنعاً)[٣].

المطلب الرابع: أثر وصف «الزعارة» في الحكم على الراوي :

اتضح مما سبق في المبحث الذي مضى أن الموصوفون بمصطلح الزعارة، وسوء الخلق قد وصل عددهم ما يقارب السبعة وعشرين محدثاً كلهم من أهل الفضل والعلم، لكن تبقى هنا مسألة غاية في الأهمية وهي: هل الزعارة قادحة في العدالة أو المروءة؟.

ظهر لي بعد تتبع وجولةٍ في كتب تراجم المحدثين في جميع كتب التاريخ، والطبقات والسير أن الزعارة خلق خاص بالراوي ولا أثر لها في روايته ألبته، كما أنها لا تقدح في عدالته، وكذلك في مروءته، إلا إذا اقترنت بما يُسقط العدالة، كالكذب، والفسق والبدعة، سقط الاحتجاج به.

ويؤيد هذا ما أوردناه سابقاً من قول للعلاّمة اليماني حول هذا حين قال: «ومتكرر في التراجم أن يقال: في خلق فلان زعارة أي شراسة، وهذا وإن كان غير محمود فليس مما يقدح في العدالة أو يخدِش في الرواية».[٤]

وأما موقف العلماء من صاحب الزعارة فتباينت: فمنهم من كان يأخذ عنه على ما فيه من زعارةٍ وسوء خلق، وشواهد ذلك بيّنة في كتب أهل العلم ومصنفاتهم، فقد ذكر ابن عساكر حكاية للإمام شعبة بن الحجاج رحمه الله مع عثمان بن أبي عاصم، وعدم جرأته على مراجعته أو تصويبه لزعارته، فقد قيل له حين ذكر حديث: (من رآني في النوم فقد رآني)،[٥]: يا أبا بسطام رفعه؟ قال:

---

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي. (٧١٧/١١).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي. (٤٨/٣٦).

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٣٣٧/١٥).

(٤) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٣٧/١).

(٥) الحديث في صحيح مسلم (١٧٧٦/٤) كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، برقم (٢٢٦٨).

لو قلت هذا لأبي حصين للطم عيني. (١)

وقد سرد الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله في مصنفه كثيراً من مواقف الإمام -سليمان بن مهران- مع طلابه فما كانت زعارته رحمه الله ونِكادة خلقه تزيدهم فيه إلا تمسكاً وصبراً على ما فيه، وذلك لثقته وتثبته، قال رحمه الله: ((كان الأعمش سيء الخلق، جافي الطبع، بخيلاً بالحديث، عسيراً في الرواية، وأخباره عند أهل العلم في ذلك مشهورة فمنها ما حدثنا أبو عوانة، قال: جاء رَقَبة بن مَصقْلة إلى الأعمش، فسأله عن شيء، فكلح وجهه، فقال له رقبة: «أما والله، ما علمتك لدائم القُطوب، سريع المَلال، مستخِف بحق الزوار لكأنما تسعِط الخردل إذا سئلت الحكمة))، وقال: «سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديثٍ، فأخذ بحلقه، فأسنده إلى حائط، وقال: هذا إسناده.

ثم قال أبو بكر الخطيب رحمه الله: وأخبار الأعمش في هذا المعنى كثيرة جداً، وكان مع سوء خلقه، ثقة في حديثه، عدلاً في روايته، ضابطاً لما سمعه، متقنا لما حفظه، فرحل الناس إليه، وتهافتوا في السماع عليه، فكان أصحاب الحديث ربما طلبوا منه أن يحدثهم، فيمتنع عليهم، ويلحّون في الطلب، ويبرمونه بالمسألة، فيغضب ويستقبلهم بالذم حتى إذا سكنت فورته، وذهبت ضجرته، أعقب الغضب صلحاً، وأبدل الذم مدحاً.(٢)

ولذا تجد كثيراً ما يقال في وصف زعارة بعض المحدثين وعسَارة خلقه: (سمعنا منه على ما فيه، أو: كنا نسمع عليه بجهد، كنا نقرأ عليه بجهدٍ جهيد، وبالشفاعات).

وفي المقابل من الرواة مَن لم يطق ذلك من المحدث فتركه خُلقاً لا جرحاً، وقد مرّ في بعض تلك التراجم بعد ذكر الزعارة ما يبين ذلك بوضوح ففيه: ((قلّ من سمع عنه، نفرت عنه بعض النفوس، تُرك، كان ذلك سبب في تأخيره وعدم تقدمه)) (٣)، بل منهم من كره حضور مجالس القراءة والسماع عليه.

قال السمعاني في ترجمة أبي العزّ الحسن بن عبد الهادي العلوي: «وكان شيخًا عسِر الخلق نكِدًا، غير راغب في الخير، اتفق أني قرأت عليه ورقة من حديث أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ، بروايته عن أبي مسلم ابن مهريزد الأديب، عنه، ثم سألني جماعة أن أحضر معهم لقراءة شيء من الحديث، فامتنعت وكرهت، فألحوا علي فوافقتهم، فلما دخلنا داره زعق، وقال: اخرجوا

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٤١٢/٣٨).
(٢) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي (١٣١/١).
(٣) راجع امطلب الموصوفون بالزعارة.

من داري، ولم دخلتم داري؟! فقلت: إنما جئنا لنقرأ عليك أحاديث جدك، ﷺ، فذكر كلمة يكفر الإنسان بدونها، فخرجت وما توقفت، وتركت الرواية عنه، وضربت على سماعي منه. (١)

(١) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني (٦٨١/١).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها:

١ – أهمية هذه الدراسة لأنها تُعنى بتحرير مصطلحات وعبارات النقاد في الحديث.

٢- لفظ الزعارة في اللغة يدل على: سوء خلق والشراسة في الطبع.

٣ – استعمال المحدثين لهذا اللفظ إنما جاء وصفاً لسوء خُلق المحدث، ولم يصل الأمر إلى حد إسقاط العدالة أو المروءة.

٤ – لفظ (الزعارة) لا يدل على ضعف الراوي ولا أثر له في روايته.

٥ - (الزعارة) عند المحدثين ليست من ألفاظ الجرح إطلاقاً.

٦ - قد يوصف الثقة، والصدوق بالزعارة.

٧ –عدد الموصوفون بالزعارة سبعة وعشرين رجلاً.

٨- قد يُترك المحدث ويقلّ الأخذ عنه بسبب سوء خلقه، وفظاظة طبعه، وشواهد ذلك موجودة عندهم.

٩- قد توصف الزعارة بوصف آخر يدل عليها كعسر الأخلاق، ونكادتها.

١٠ –العلماء الذين استعملوا هذا المصطلح:

الإمام الذهبي، والقاضي عياض، الإمام شعبة بن الحجاج، أحمد بن حزم، السمعاني، ابن يونس الصفدي، السراج، أبو العباس أحمد المكناسي، ياقوت الحموي، والمبارك بن أحمد ابن المستوفي رحمهم الله أجمعين.

ثانيا : توصي الباحثة بما يلي :

١ – ضرورة العناية بدراسة مصطلحات الأئمة التي تطلق على الرواة، وتحريرها، وتتبع الموصوفين بها، ومدى تأثيرها على الراوي والمروي.

٢ - هناك جملةً من الموضوعات التي تستحق التتبع منها: الرواة الذين ذكرهم الإمام ابن معين بقوله: ((يفسد نفسه يدخل في كل شيء)) (والرواة الذي تركهم العلماء بسبب كثرة كلامهم)، وغيرها من الموضوعات التي تستحق التأمل والدراسة.

وختاماً أقول: ما كان في هذا البحث من صواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من خلل أو زلل فهو من نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمين.

المصادر والمراجع

- أعيان العصر وأعوان النصر-صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ت: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا- الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي، البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- تاريخ ابن يونس المصري - عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (ت ٣٤٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

- تاريخ إربل للمبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧هـ) ت: سامي بن سيد خماس الصقار - وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠ م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ت: د. بشار عوّاد معروف - دار الغرب الإسلامي -بيروت الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها لأبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩هـ - ٥٧١ هـ) ت: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العموري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

- تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم والمتعلم، لبدر الدين بن جماعة، (ت ٧٣٩هـ) مركز المربي، الطبعة الرابعة، ١٤٤٦هـ-٢٠٢٥م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ).

- مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى.

- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل لعبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦ هـ) مع تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني [ت

١٤٢٠ هـ] زهير الشاويش [ت ١٤٣٤ هـ] عبد الرزاق حمزة [ت ١٣٩٢هـ]-المكتب الإسلامي الطبعة: الثانية،١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- تهذيب الكمال في إسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن المزي، (ت ٧٤٢هـ)، ت: د.بشار عواد، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠.

- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد الحنظلي، الرازي، (ت:٣٧٢هـ) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-بحيدر آباد- الهند، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله النمري، القرطبي، (ت٤٦٣هـ) ت:أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤-١٩٩٤م.

- خلاصة التأصيل في علم الجرح والتعديل، للشريف حاتم العوني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)- دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند - الطبعة: الثانية (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م).

- ذيل وفيات الأعيان المسمى «درّة الحجال فى أسماء الرّجال»- أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسى الشّهير بابن القاضى (٩٦٠ - ١٠٢٥ هـ) ت: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور- دار التراث (القاهرة) - المكتبة العتيقة (تونس) الطبعة: الأولى، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

- الرد الوافر، محمد بن عبد الله الدمشقي الشافعي، الشهير بابن ناصر الدين، المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الأولى ١٣٩٣.

- الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم- أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، (ت٤٥٨هـ) ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- سير أعلام النبلاء لشمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ت:

حسين أسد إشراف: شعيب الأرناؤوط ت: ١٤٣٨ هـ- مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت:٤٦٣هـ) تحقيق: د. محمد سعيد خطي أوغلو، دار إحياء السنة النبوية- أنقرة.

- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، (ت٤٥٨هـ) ت:مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز محمد العبداللطيف، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة،١٤٣٩هـ.

- عناية العلماء بالإسناد وعلم الجرح والتعديل وأثر ذلك في حفظ السنة النبوية، صالح بن حامد الرفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة.

- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» لكمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ)ت: كامل سلمان الجبوري دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى - ٢٠٠٥ م.

- كتاب العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) ت: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال.

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين، أبو المظفر يوسف بن عبد الله المعروف بسبط ان الجوزي، (ت٥٥٨١)، ت: محمد بركات كامل وآخرون، دار الرسالة العالمية- دمشق- سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الطهماني، النيسابوري، (ت٤٠٥هـ) ت:مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩٠م.

- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، ت:أحمد شاكر، دار الحديث-القاهرة، الطبعة الأولى،١٤١٦هـ١٩٩٥م.

- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي البصري، (ت٢٠٤هـ)، ت:محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر-مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ١٩٩٩م.

- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ت: إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى،

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

- معجم الشيوخ الكبير للذهبي -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ت: الدكتور محمد الحبيب الهيلة- مكتبة الصديق، الطائف- المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- المعجم المختص بالمحدثين- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ت: د. محمد الحبيب الهيلة - مكتبة الصديق، الطائف الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون-دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م..

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، لعبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، المروزي، (ت:٥٦٢هـ) ت: موفق عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، (ت٥٧٩هـ) ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- الميسر في علم الجرح والتعديل، لسيد عبد الماجد غوري، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ،-٢٠٠٧ م.

- الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى- دار إحياء التراث - بيروت١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.